

# سُورَةُ الْحَجَّ



**النَّزُولُ:** مدنية إِلَّا الآيَاتُ : (٥٢) و(٥٣) و(٥٤).

## المَقَاصِدُ :

- ١ - بيان جملة من أحكام الحج و القتال .
- ٢ - التخويف من أهوال يوم القيمة .
- ٣ - الدعوة إلىأخذ العبرة من دمار الأمم المكذبة .
- ٤ - تقرير توحيد الربوبية .



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَدِيدٌ عَظِيمٌ ﴾١١٦ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذَهَّلُ  
 كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَضَعُ كُلُّ ذَاتٍ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَّارَى  
 وَمَا هُم بِسُكَّارَى وَلَا كَنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدًا ﴾١١٧ وَمَنْ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَدِّلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ  
 وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ ﴾١١٨ كَيْنَ عَلَيْهِ أَنْهُ مَنْ تَوَلَّهُ فَأَنَّهُ يُضْلَلُ وَيَهْدِيهُ إِلَى عَذَابٍ

السعير

### التفسير:

**١** - يخاطب الله تعالى البشرية أمراً بتقواه في طاعة أوامرها، واجتناب نواهيه، ومُخْبِرًا بما يستقبلون يوم القيمة من زلزال الأرض الفريد، فإنَّ هؤلءِ رهيب، واضطرابه شديد.

**٢** - يوم تشاهدون مشاهد قيام الساعة منْ تَصَدُّعِ الجبال، وتَفَجُّرِ البحار، وَتَشَقُّقِ السماء. في هذا اليوم تَغْفُلُ الْأُمُّ المرضعة عن رضيعها، وَتُسْقِطُ الحاملُ حَمْلَهَا، وترى العباد في ذُهول من هذا الهول الذي بدأ معالمه، كأنَّهم سُكَارَى من الخمر، وليسوا بسُكَارَى حقيقة، ولكن مشهد العذاب الذي يتنتظر العصاة شديد. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه: «يقول الله عَزَّ وجلَّ يوم القيمة: يا آدم! فيقول: لَبَّيك ربنا وسعدتك. فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تُخرِجَ من ذريتك بعثًا إلى النار. قال: يا رب وما بَعْثُ النار؟ قال: من كل ألف - أرأه قال - تسعمئة وتسعة وتسعين. فحينئذ تضع الحامل حَمْلَهَا، ويُشَبِّهُ الوليد، وترى الناس سُكَارَى وما هُم بسُكَارَى، ولكن عذاب الله شديد». فشقَّ ذلك على الناس حتى تغيَّرتْ وجوههم، فقال النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه:

«من يأجوج وmajogج تسعمة وتسعة وتسعين، ومنكم واحد. ثم أنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الأبيض، أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود، وإنني لأرجو أن تكونوا رُبُع أهل الجنة» فكَبَرُنا، ثم قال: «ثلث أهل الجنة» فكَبَرُنا، ثم قال: «شطر أهل الجنة» فكَبَرُنا. (صحيح البخاري ٢٩٥/٨، برقم ٤٧٤١ - كتاب التفسير - سورة الحج، باب ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكْرًا﴾).

**٣** - وبعض الصالحين مَنْ يخاصِمُ فِي قدرة الله تعالى وصفاته من غير عِلم، بل بالأباطيل، ويطْبِع كل شيطان متمرّد من الإنس أو الجن. قال الشیخ الشنقطی: «ما ذكره جَلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة من أن بعض الجَهَال كالكُفَّار يُجادل في الله بغير علم، أي: يخاصِمُ فِي بغير مستند من علم، بيَّنه في غير هذا الموضع، كقوله في هذه السورة الكريمة: ﴿وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ [٦] ثَلَاثَ عَطْفَهٖ لِصَلَّ عَنْ سَيِّلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا حَرْثٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الحج: ٨ - ٩] الآية».

**٤** - حُكْمُ الله أَنَّهُ مَنْ تولى الشيطان فإِنَّهُ يُغْوِيهُ، ويَسُوقُهُ إِلَى عذاب نار جهنم الموددة.

### الفوائد والاستنباطات:

**١** - الإنباء بهول يوم القيمة بمشاهد مؤثرة ومحيرة.

**٢** - تحريم الحوار بغير علم ولا دليل.

**٣** - ترك اتباع الحق يؤدي إلى اتباع الباطل.

**٤** - قال ابن عاشور: «زيادة كلمة (كل) للدلالة على أن هذا الذهول يعتري كل مرضع، وليس هو لبعض المراضع باحتتمال ضعف في ذاكرتها. ثم تقتضي هذه الكنية كنية عن تعليم هذا الهول لكل الناس؛ لأنَّ خصوصية هذا المعنى بهذا المقام أَنَّهُ أَظْهَرَ في تصوير حالة الفزع والهلع.. وهذا من بديع الكنية عن شدة ذلك الهول؛ لأنَّ استلزم ذهول المرضع عن رضيعها لشدة الهول يستلزم شدة الهول لغيرها بطريق الْأَوْلَى، فهو لزوم بدرجة ثانية. وهذا النوع من الكنية يسمى الإيماء». (التحرير والتنوير: ١٣٩/١٧).

**٥** - قال الشیخ الشنقطی: «قوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿وَيَهِدِهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ يدل على أنَّ الهدى كما أَنَّهُ يستعمل في الإرشاد والدلالة

على الخير، يستعمل أيضاً في الدلالة على الشر، لأنَّه قال: ﴿وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِير﴾. ونظير ذلك في القرآن قوله تعالى: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحْمِ﴾ [الصفات: ٢٣]، قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَكْدُونَ إِلَى النَّكَارِ﴾ [القصص: ٤١] الآية، لأنَّ الإمام هو مَنْ يُقتَدِي به في هديه وإرشاده».

**٦** - قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إنه سبحانه ذكر ثلاثة أصناف: صنف يجادل في الله بغير علم، ويَتَبَعُ كل شيطان مريد، مكتوب عليه إضلال مَنْ توَلَّهُ، وهذه حال المُتَبَعِ لِمَنْ يُضله. وصنف يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، ثانيَّ عِطْفِهِ لِيُضْلِلَ عن سبيل الله، وهذه حال المتبوع المستكبر الضالُّ عن سبيل الله. ثم ذكر حال مَنْ يعبد الله على حُرْفٍ، وهذه حال المتبوع لهواه، الذي إن حصل له ما يهواه من الدنيا عَبَدَ الله، وإن أصابه ما يمتحن به في دنياه ارتدَّ عن دينه، فهذه حال مَنْ كان مريضاً في إرادته وقصده، وهي حال أهل الشهوات والأهواء». (درء تعارض العقل والنقل: ٢٦٣/٥).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلْقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ تُخْلَقَةٌ وَغَيْرِ مُخْلَقَةٍ لِتَبَيَّنَ لَكُمْ وَنَقْرٌ فِي الْأَرْجَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَعٍ ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طَفْلًا ثُمَّ لَتَبْلُغُوا أَشْدَكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُنَوَّفُ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلًا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَنَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ أَهْتَرَتْ وَبَرَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُنْجِي الْمَوْتَنَّ وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّ السَّاعَةَ إِذَا هُنَّ لَا رَبَّ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَعْثُثُ مِنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَدِّلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدَى وَلَا يَكُنْ مُّنِيرٌ ﴿٨﴾ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضْلِلَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا حِرْزٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابَ الْحَقِيقَتِ ﴿٩﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّمٍ لِلْعَيْدِ ﴿١٠﴾

### التفسير:

**٥** - يخاطب الله تعالى جميع العباد بالأدلة المشاهدة: إن شكركم في

قدرتنا على إحياءكم بعد موتكم، فانظروا في أصل خلقكم؛ ليزول الشك عنكم، فقد خلقنا آدم من تراب، ثم جعلنا نسله من النبي، يقذفه الرجل في رحم المرأة، ثم يتطور بقدرة الله تعالى إلى دم أحمر جامد، ثم يتطور إلى قطعة من اللحم تشبه المضعة التي فيها آثار ضغط الأسنان عليها، وتكون تامة الخلق، وأحياناً تكون غير تامة، لتوسيع لكم عظيم قدرتنا. ونبقي في الأرحام الجنين التام الخلقة إلى وقت ولادته، ثم نخرج هذا الجنين طفلاً ضعيفاً في بدنه وحواسه، ثم يتدرج حتى تكتمل قوّتكم وحواسكم، ومنكم من يموت في شبابه، ومنكم من يُعمر حتى يصل إلى الشيخوخة والهرم من أجل لا يعلم هذا الهرم شيئاً مما كان يعلمه قبل ذلك. وأمر آخر يدل على حقيقة البعث: الأرض اليابسة لا نبات فيها، فإذا أنزلنا عليها المطر دبت فيها الحياة وتحرّكت، وأنبتت من كل صنف ما يُسر الناظر بيهائه ورونقه.

**٦ - ٧ -** ذلك الاستدلال العظيم يبرهن على أربع حقائق: بأن الله هو رب المعبد بحق، وبأنه سبحانه القادر على إحياء الموتى، وأنه على كل شيء من الأشياء قدير لا يعجزه شيء، وأن قيام الساعة حق لا شك فيها، وأن الله يحيي الأموات، ويبيّن لهم من القبور أحياء إلى موقف الحساب.

**٨ - ٩ -** يحذر الله من أهل الضلال مكرراً ذكرهم؛ لتأكيد خطورة أمرهم، وشناعة فعلهم، فهم يخاصمون وغير علم صحيح، ولا كتاب يعتمد على الحجة والبرهان، بل بجهالة واستكبار، من أجل أن يصدوا العباد عن دين الله، فلهم عذاب في الدنيا بالذلة والهوان، وفي الآخرة بالنار المحرق.

**١٠ -** ذلك العذاب العظيم بسبب ارتكاب جرائم الكفر والفساد، وأن الله عادل لا يعذّب أحداً بغير ذنب وإنذار.

### الفوائد والاستنباطات:

**١ -** ثبت للخبراء أن نزول المطر على التربة أو اختلاط الماء بالترابة من أي مصدر آخر يترب عليه عدة أمور:

**أ -** تحولها إلى محلول الترب.

**ب -** حبيبات التربة ذات الشحنات السالبة المتشابهة تكون في حالة تناقض مستمرة، وهو ما يجعلها في حالة اهتزاز وحركة دائمة.

**ج -** الماء يحيط بالحبيبات ويغلقها فتزداد، أي: تربو كما أخبر القرآن الكريم. (الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: عبد الله بن عبد العزيز المصلح: ص ١٠٥).

**ومن الحقائق العلمية:** أنَّ الماء إذا نزل على تربة الأرض أدى إلى إثارتها كهربياً، مما يجعلها تهتز وتتنفس ويزداد حجمها، فتربو وتردد؛ وذلك لأنَّ تربة الأرض تتكون في غالبيتها من المعادن الصلصالية التي يؤدي تميُّزها إلى اهتزاز مكونات التربة، وزيادة حجمها وارتفاعها إلى أعلى حتى ترقَّ رقَّة شديدة فتشنق مفسحة طريقاً سهلاً آمناً لسويقة (ريشة) النبتة الطريقة الندية المنشقة من داخل البذرة النابضة المدفونة بالتربة.

(آيات الإعجاز العلمي: الأرض في القرآن الكريم للدكتور زغلول النجار، ص ٣٥١ - ٣٦٤).

**٢ -** تقرير البعث بالأدلة الحسية والعقلية.

**٣ -** بيان مراحل خلق الإنسان الواردة في الآيات دليل ساطع على إعجاز القرآن.

**٤ -** ذمُّ الجدل من غير برهان ولا علم.

**٥ -** ذمُّ التكبير والتعالم والتقليد الأعمى للضاللين.

**٦ -** ينظر: نموذج من القبور، كما في الملحق.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ أَطْمَانَ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أَنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِيرًا الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ذَلِكَ هُوَ الْخَسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُونَا مِنْ دُورِنَا مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُونَا لَمَنْ ضَرَّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لِئَلَّا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الْأَنْهَى إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْمِلَهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعُلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَنْ كَانَ يَظْنَ أنَّ لَنْ يَنْصُرُهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلَيَمْدُدْ بِسَبِيلٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيُقْطَعَ فَلَيُنْظَرَ هَلْ يُدْهِنَ كَيْدُهُ مَا يَغْيِظُ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ مَا يَتَبَشَّرُ بِهِنَّ وَإِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ ﴿١٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِرِينَ وَالصَّادِرِيَّ وَالْمَجْوُسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجَمَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعُلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٧﴾

### التفسير:

**١١ - ١٣** - وبعض الناس منْ هو ضعيف الإيمان فيعبد الله على تردد؛ لأنَّ الإيمان لم يستقرَّ في قلبه، فإنْ رُزِقَ بالخير والصحة أقام على دينه، وإنْ أصابه مكروه وبلاء ارتدَّ عن دينه، وانتكس بالكفر، وأضاع دنياه وآخرته. ذلك الانهيار هو الخسران الواضح الذي لا مثيل له، يعبد الأصنام من غير الله، وهي لا تضرُّه إن ترك عبادتها، ولا تنفعه إن عبدها. ذلك الكفر الصريح هو الانحراف البعيد عن الحق، يعبد منْ ضرره المُحَقَّقُ أقربُ منْ نفعه الوهمي. بئس الناصر، وبئس القريب.

**١٤** - يُيشِّرُ الله تعالى المؤمنين الذين يعملون الأعمال الصالحة بأنَّ يدخلهم جنَّاتٍ تجري الأنهر من تحت قصورها وأشجارها. إنَّ الله يفعل ما يريد من إكرام المؤمنين بفضله، وعذاب الكافرين بعده.

**١٥** - مَنْ كان يعتقد أنَّ الله تعالى لن ينصر نبيه محمدًا ﷺ في الدنيا

بإظهار دينه، وفي الآخرة بإعلاء درجته، فَلْيقتل نفسه إن كان ذلك يغيبه، وذلك بأن يمْدَّ حبلاً في سقف، ثم ليختنق به شنقاً، فلينظر: هل يُشفي ذلك ما يجد في صدره؟ فإن الله ناصرٌ نبيه، فقد وعد بذلك، ووَعْدُه حقٌّ سبحانه.

عن أربدة التميمي قال: قلت لابن عباس: أرأيت قوله: ﴿مَنْ كَانَ يَظْنُ أنَّ لَنْ يَنْصُرَ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلَمْ يُمْدِدْ سَبِيلًا إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لَيَقْطَعَ فَلَيَنْظُرْ هَلْ يُدْهِنَ كَيْدُهُ مَا يَغِيْظُ﴾ قال: «مَنْ كَانَ يَظْنُ أَنْ لَنْ يَنْصُرَ اللَّهُ مُحَمَّدًا، فَلَيُرِبِّطَ حبلاً في سقف، ثُمَّ لَيَخْتَنِقَ بِهِ حَتَّى يَمُوتُ». (أخرجته الترمذى في التفسير ١٢٦/١٧ - ١٢٧، وأخرجه الحاكم في (المستدرك ٣٨٦/٢) من طريق سفيان، عن أبي إسحاق به مختصراً، ولفظه: (مَنْ كَانَ يَظْنُ أَنْ لَنْ يَنْصُرَ اللَّهُ مُحَمَّدًا) وصححه ووافقه الذهبي، وعلّقه البخاري في صحيحه مختصراً بصيغة الجزم، فقال: وقال ابن عباس: ﴿سَبِيلٌ﴾ بجعل إلى سقف البيت).

**١٦** - ومثل ذلك الإنزال المُبِين بالآيات المرئية أنزلنا القرآن الكريم وما فيه من الآيات المفصلة، والحجج الواضحة، وأنَّ الله تعالى يهدي بها مَنْ يُرِيدُ هدايته.

**١٧** - إنَّ المؤمنين واليهود والذين خرجوا عن اليهودية، والنصرانية والنصارى، وعبدة النيران، وعبدة الأوثان. إنَّ الله يفصل بينهم جميعاً يوم القيمة، فيُدخل المؤمنين الجنة بفضله، ويُدخل الكافرين النار بعدله، فنتهي الخصومة المذكورة في الآية الآتية بعد الآية التالية. إنَّ الله شاهد على أعمال خَلْقِه أحاط بها علمًا.

**١٨** - ألم تعلم أنَّ الله تعالى يسجد ويُخضع له مَنْ في السموات السبع والأرضين السبع، والشمس والقمر والنجوم والجبال، وكثير من العباد المؤمنين طوعاً، وكثير من العباد الكافرين كرهًا؟ وأيُّ عبدٍ أهانه الله تعالى فما له من مُكْرِمٍ يُكْرِمُه، ولا دافع يدفع عنه الهوان. إنَّ الله يفعل ما يشاء في خَلْقِه وَفَقَ حكمته.

### الفوائد والاستنباطات:

- ١ - الإشارة إلى الابتلاء وعلاجه بالصبر والثبات.
- ٢ - الاستغناء عن الاستعانتة بالله خسارة في الدارين.
- ٣ - وجوب حسن الظن بالله الرحمن الرحيم.

- ٤ - تقرير عبودية المخلوقات كلها لله تعالى بسجودها .
- ٥ - الإشارة إلى وجوب الخضوع والتذلل لله تعالى لما فيه من حياة العزة والكرامة؛ لأنَّ الذي يُخلص العبادة لله تعالى فهو في حصن حصين، وعِزٌّ مكين، وقرار أمين .

٦ - عن ابن عباس قال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ قال: «كان الرجل يقدم المدينة، فإن ولدت امرأته غلاماً، ونتحت خيله قال: هذا دين صالح، وإن لم تلد امرأته، ولم تُنْتَجْ خيله، قال: هذا دين سوء». (صحيف البخاري ٢٩٦ - كتاب التفسير - سورة الحج - باب (الآية)، برقم ٤٧٤٢).

٧ - في الآية (١٨) إخبار مستقبلي بأنَّ مَنْ كَتَبَ الله عليه الإهانة فليس باستطاعة أحد - كائناً مَنْ كان - أن يكرمه، فالله يَعْلَمُ يفعل في خلقه ما يشاء وفق حكمته .

﴿هَذَا نَحْنُ خَصَّمَنَا أَخْصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ شَابُّ مِنْ نَارٍ يُصْبَرُ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْخَلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُمْ مَقَامٌ مِّنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كَلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدِخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا أَصْلِحَاتٍ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا أَلَانِهَنُرُ يُحَكَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَثُلْثَوْنَ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوا إِلَى الظَّبِيبِ مِنْ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَكِينِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءَ الْعَكْفُ فِيهِ وَالْبَادَ وَمَنْ يُرِدُ فِيهِ بِإِلْحَاقِهِ بِظُلْمٍ نُذْقِهِ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾

## ١٩ - ٢٢ - سبب النزول:

عن أبي ذر رضي الله عنه أنَّه كان يُقسم فيها قسماً: إنَّ هذه الآية: ﴿هَذَا نَحْنُ خَصَّمَنَا أَخْصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ نزلت في حمزة وصاحبيه، وعُتبة وصاحبيه يوم بروزا في يوم بدر. (صحيف البخاري ٢٩٧ - ٢٩٨ - كتاب التفسير، سورة الحج، باب (الآية) برقم

٤٧٤٣ . وصحیح مسلم ٤/٢٣٢٣ بنحوه - كتاب التفسير - باب في قوله تعالى: ﴿هَذَا هُنَّا خَصْمَانٌ أَخْصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ .

قال ابن عاشور: «الأظهر أن أبا ذر عنى بتنزول الآية في هؤلاء أن أولئك النفر الستة هم أبرز مثال وأشهر، فرد في هذا العموم، فعبر بالتنزول، وهو يريد أنهم ممن يقصد من معنى الآية». (التحرير والتنوير: ١٧/١٦٦).

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصوصة يوم القيمة، قال قيس: وفيهم نزلت: ﴿هَذَا هُنَّا خَصْمَانٌ أَخْصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ قال: هم الذين بارزوا يوم بدر: علي وحمزة وعبيدة، وشيبة بن ربيعة، وعبيدة بن ربيعة، والوليد بن عتبة. (صحیح البخاري ٨/٢٩٧ - ٢٩٨ - كتاب التفسير، سورة الحج، باب (الآية) برقم ٤٧٤٤ . وصحیح مسلم ٤/٢٣٢٣ بنحوه - كتاب التفسير - باب في قوله تعالى: ﴿هَذَا هُنَّا خَصْمَانٌ أَخْصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ .

### التفسير:

هذا فريقان متنازعان، وهما المؤمنون والكافرون تنازعوا، إذ يدعى كل فريق أنه على حق، فالمؤمنون يريدون نصرة دين الله، والكافرون يريدون إطفاء نور الإيمان، وسيفصل بينهم النزاع، فالكافر فصل لهم ثياب من نار على مقاس أجسادهم، يصب على رؤوسهم الماء المغلبي بنار جهنم، يذيب ما في بطونهم من الأمعاء والأحساء ويُسقط الجلود، وأعد لهم مطاراتق من حديد يضربون بها، كلما حاولوا الهروب من هول النار أعادوا فيها ووبخوا، إذ يقال لهم: ذوقوا عذاب نار جهنم.

**٢٣** - إن الله تعالى يدخل المؤمنين الذين يعملون الأعمال الصالحة جنات تجري الأنهر من تحت قصورها وأشجارها، يزيتون فيها بحلبي في غاية الجمال، بأساور من الذهب والملؤ، ولباسهم المعتمد في الجنة هو الحرير الطبيعي رجالاً ونساءً.

**٢٤** - وأمام كلامهم في الجنة فقد ألههم الله تعالى التسبيح والتحميد والتهليل والكلام الحسن الذي يخلو من اللغو والكذب، وهذاهم سبحانه إلى المكان الذي يسمعون فيه الكلام الطيب.

**٢٥** - إن الكفار الذين يمنعون الناس عن دين الله تعالى، ويمنعون

المؤمنين عن دخول المسجد الحرام الذي جعلناه منسكاً ومتعبدًا للناس جميعاً، يستوي فيه المقيم الحاضر، والذى يأتيه من خارج البلد. ومن يعزز فيه بفعل سوء، أو يهُمّ بسوء متعمداً ظلماً الآخرين، سواء كان يقيم في المسجد الحرام أو خارجه، نذرته عقاباً من العذاب الموجع.

### الفوائد والاستنباطات:

- ١ - بيان مصير أهل الحق ومصير أهل الباطل في الآخرة.
- ٢ - بيان حمرة المسجد الحرام.
- ٣ - التهديد والوعيد لمن أراد الإساءة إلى المسجد الحرام وأهله، ولو بمجرد النية.
- ٤ - المسلمين سواسية في المسجد الحرام، فالكل له حق العبادة، سواء كان من أهل البلد، أو من القادمين.
- ٥ - عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في قول الله ﷺ: «وَمَنْ يُرِدُ فِيهِ إِلَّا حَادَمْ لِظَلَمٍ نُذْقَهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ» قال: لو أن رجلا هم فيه بإلحاد وهو بعدن أبى، لاذقه الله عذاباً أليماً.

(أخرجه الحاكم وصححه الذهبي في المستدرك ٣٨٨/٢ - كتاب التفسير، وصححه أحمد شاكر في حاشية المسند برقم ٤٠٧١).

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا وَطَهَّرْ بَيْتَنِي لِلظَّاهِرِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكْعَةَ السُّجُودَ ﴾٢٧ وَإِذْنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجَّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجَّ عَمِيقٍ ﴾٢٨ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَمِ فَكُلُّوا مِنْهَا وَاطِّعُمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴾٢٩ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَّهُمْ وَلِيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلِيَطَوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾٣٠ ذَلِكَ وَمَنْ يَعْظِمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأَحْلَتْ لَكُمُ الْأَنْعَمُ إِلَّا مَا يُتَّلَى عَيْنَكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَكَ الْوُرْ ﴾٣١ حُنَفَاءُ اللَّهِ عَيْنَكُمْ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَكَانَمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَجِيقٍ ﴾٣٢﴾

### التفسير:

**٢٦ - ٢٨ - واذكر - أيها النبي - إذ هبأنا لإبراهيم ﷺ مكان البيت**  
 الحرام، وأنزلناه بجواره للقيام ببناء الكعبة على التوحيد، ونهيئناه عن الشرك، وأمرناه أن يُظهر البيت من الأوثان والأقدار، للذين يطوفون حول الكعبة، والمقيمين للعبادة، والمصلين فيه. وبعد أن قام إبراهيم ﷺ بذلك الشرف أمره الله تعالى أن ينادي الناس، ويبلغهم بوجوب الحج إلى بيت الله الحرام، ثم بشّره بالاستجابة إلى ندائها، ومجيء الناس من كل مكان بعيد و قريب، مشاةً على أقدامهم، وركبناً على الجمال المهيأة للسفر الطويل، وغيرها من المراكب المعدّة للحج؛ ليحظوا بمنافع دينية ودنوية، وليدكروا اسم الله عند ذبح الهدايا والضحايا في أيام النحر، شكرًا لله على نعماته، وعلى ما أعطاهم من الإبل والبقر والغنم والمعز، وأباح لهم الأكل من لحوم الأضاحي، وأمر بإطعام البائس الذي أصابته شدة وفاقة، والفقير المحتاج.

**٢٩ - ثم بعد الذبح أمرهم أن يزيلوا من أجسامهم ما علق بها في أثناء الإحرام، وذلك بالحلق والتقصير وقص الشارب والأظافر، وليوفوا ما أوجبوه**

على أنفسهم بالنذر طاعةً لله، ولِيُطْوِفُوا حول الكعبة طواف الإفاضة سبعة أشواط.

**٣٠** - ذلك الأمر العظيم الذي يُبَيِّن شعائر الله تعالى، ومن يُعَظِّم ما شرعه الله من أحكام الدين فهو خير له ثواباً في الآخرة، وأحْلَلْنَا لكم الأكل من الإبل والبقر والغنم والمعز وغيرها من النَّعَم، إلا ما استُثْنِي في القرآن الكريم، كالميته والمنخنقة وما ذُبَحَ لغير الله. واجتبوا بغاية الجهد عبادة الأوثان، فإنَّها خبيثة نجسة نجاسةً معنوية، واجتبوا أيضاً قول الباطل من الكذب وشهادة الزور.

**٣١** - وكُونُوا مستقيمين مطاعين لله غير مشركين به أحداً، ومن يشرك فمَثْلُه مَثَلُ مَنْ سقط من السماء، فتأكله الطير وتُمزَّقه، أو تعصف به الريح إلى مكان بعيد من الأمان. وهذا التشبيه يُبَيِّن خطورة البعد عن الإيمان بالله تعالى.

### الفوائد والاستنباطات:

- ١ - بيان فضل المسجد الحرام وشرف إبراهيم ﷺ.
- ٢ - أول من بلَّغَ بوجوب الحج إبراهيم ﷺ.
- ٣ - جواز التجارة في الحج.
- ٤ - ضرورة التنويه بالحكمة من الحج، وما فيه من منافع مادية وروحية للنفس وللمجتمع وللشعوب المسلمة، والعمل على استثمار هذا الموسم في توثيق عُرا المودة، وأواصر الصلة، وتبادل المنافع بين المسلمين.
- ٥ - بيان فضل تعظيم حرمات الله تعالى، ومنها المسجد الحرام.
- ٦ - تأكيد تحريم عبادة الأصنام، والكذب، وشهادة الزور.

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعْبَرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَفِعٌ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمٍّ  
 ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلَكُلُّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكَأَيْدِكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا  
 رَزَقُهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَمِ إِنَّهُمْ إِلَهٌ وَحْدَهُ أَسْلَمُوا وَبَشَّرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا  
 ذَكَرَ اللَّهُ وَجَلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابُهُمْ وَالْمُقْيِمِ الصَّلَاةَ وَمَا رَزَقُهُمْ يُنْفَقُونَ  
 ﴿٣٥﴾ وَالْبَدْنَكَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعْبَرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٌ فَإِذَا  
 وَجَبَتْ جُنُونُهَا فَكُلُّوا مِنْهَا وَأَطْعُمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعَرَّ كَذَلِكَ سَخَرْنَاهَا لَكُمْ لَعْلَكُمْ تَشَكُّرُونَ  
 لَنْ يَنَالَ اللَّهُ حُمُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ الْأَنْقَوِيَّ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَرْهَا لَكُمْ لَتُشَكِّرُوا اللَّهُ  
 عَلَى مَا هَدَنَكُمْ وَبَشَّرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾

### التفسير:

**٣٢** - ذلك هو الأمر العظيم من الشرع الحكيم الذي أمر به الرحمن الرحيم. ومنْ يُعَظِّمْ أمور الدين، ومنها شعائر الحج فإنها من أفعال المتقين.

**٣٣** - لكم في هذه الضحايا والهدايا منافع من النسل واللبن والركوب، إلى وقت نحرها في مكة المكرمة، أو في منى.

**٣٤ - ٣٥** - ولكل ملة شرعاً لها مكاناً للعبادة وللذبح؛ ليذكروا اسم الله وحده، ويشكروه على ما رزقهم من الإبل والبقر والغنم والمعز. فإلهكم - أيها العباد - إله واحد هو الله سبحانه، فأخلصوا له العبادة وأطیعوه. وبشر الخاسعين القانتين لله، الذين إذا ذُكِرَ اللَّهُ خَشِعْتْ قلوبهم، والصابرين على البلاء، والمحافظين على أداء الصلاة، وممّا أعطيناهم ينفقون في سبيل الله.

**٣٦** - والتضحية بالإبل البدينة لله تعالى جعلناها من معالم الشريعة التي أمر بها الله عباده. لكم فيها نفع في الدنيا والآخرة، فقولوا عند ذبحها: بسم الله، حال كونها واقفة صفت ثلاثة من قوائمها، وفيّدت الرابعة، فإذا سقطت على الأرض، وأزهقت روحها فقد حلَّ أكلُها، فكُلُوا منها إن شئتم، وأطعُمُوا الفقير الذي لم يسأل تعففاً، والسائل ل حاجته. مثل ذلك التسخير جعلناها منقادة لكم؛ لكي تشكروا الله على نعمه.

**٣٧** - ليس المقصود من الهدايا التظاهر بذبّحها، وإنما المقصود الإخلاص له سبحانه، فلن يصل إلى الله لحومها وإراقة دمائها، ولكن يبلغه التّقوى منكم، بطاعة أوامره واجتناب نواهيه. مثل ذلك التسخير جعلها لكم منقادة؛ لتعظّموا الله، وتشكروه على ما هداكم من الحق. وبشّر المحسنين بأقوالهم وأفعالهم أن لهم الجنة.

### الفوائد والاستنباطات:

- ١ - الترغيب في وجوب تعظيم أحكام الدين.
- ٢ - جواز الاستفادة من الأضاحي برکوبها وشرب لبنها، حتى يحين ذبّحها في مكة المكرمة، أو في منى.
- ٣ - في الآية (٣٤) إخبار مستقبلٍ، وبشارة للمتواضعين الخاضعين لربّهم، بأن لهم خيري الدنيا والآخرة.
- ٤ - وجوب التسمية عند الذبح.
- ٥ - بيان وحدة التشريع في ذبّح القرابين لله تعالى في الشرائع كلها.
- ٦ - وجوب شكر الله تعالى على نعمه.
- ٧ - في الآية (٣٧) إخبار مستقبلٍ وبشارة للمحسنين بعبادة الله وحده، والمحسنين إلى خلقه بكل خير وفلاح.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ حَوَانٍ كَفُورٍ ﴾٣٨﴿أُذْنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلْمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾٣٩﴿الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بَعْضًا هُمْ لَهُمْ صَوَاعِقُ وَبَعْضُهُمْ وَصَلَواتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَسْتَرِنَّ اللَّهُ مَن يَصْرُفُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوْيٌ عَزِيزٌ ﴾٤٠﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَإِنَّمَا الْرَّكُوْةُ وَأَمْرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾٤١﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَبَ قَبْلَهُمْ قَوْمٌ نُوحٌ وَعَادٌ وَثَمُودٌ وَقَوْمٌ إِرْرَهِيمٌ وَقَوْمٌ لُوطٌ ﴾٤٢﴿وَاصْحَابُ مَدِينَ وَكَذَبَ مُوسَى فَأَمْلَأَتُ لِلْكَافِرِنَ ثُمَّ أَخْذَتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٌ ﴾٤٣﴾

### التفسير:

**٣٨ -** يُبَشِّرُ الله تعالى عباده المؤمنين بأنه ينصرهم، ويدفع عنهم كيد أعدائهم. إنَّ الله لا يحبُّ كلَّ حَوَانٍ للأمانة، جحود لنعم الله تعالى.

### ٣٩ - سبب النزول:

عن ابن عباس قال: لما أخرج النبي ﷺ من مكة قال أبو بكر: أَخْرَجُوا نَبِيَّهُمْ، لَيْهُلَكُنَّ، فأنزل الله: ﴿أُذْنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلْمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ فقال أبو بكر: لقد علمتُ أنه سيكون قتال. (آخرجه الترمذى في السنن ٣٢٥ / ٥ - كتاب التفسير، باب سورة الحج برقم ٣١٧١). وصححه الألبانى فى صحيح سنن الترمذى، وصححه أحمد شاكر برقم ١٨٦٥ ، وأخرجه الحاكم وصححه وافقه الذهبى فى المستدرک ٦٦ / ٢ - كتاب الجهاد).

### التفسير:

أُذْنَ الله تعالى في القتال للمؤمنين الذين يقاتلهم أعداؤهم؛ بسبب أنَّهم ظُلِّمُوا بِمَنْعِهِمْ مِنْ دِيَارِهِمْ، وفِتْنَتِهِمْ، وَإِخْرَاجِهِمْ مِنْ دِيَارِهِمْ، فَلَهُمْ أَنْ يَدْافِعُوا عَنْ أَنفُسِهِمْ وَيَسْتَرِدُوا حُقُوقَهُمْ. إِنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ قَادِرٌ عَلَى نَصْرِ عِبَادِهِ.

**٤٠ -** ومن صفة ظلمهم أنَّهم أُلْجَئُوا إِلَى الْخُرُوجِ مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ سَبَبٍ مُوجِبٍ لِلِّإِخْرَاجِ، وَإِنَّمَا لَأَنَّهُمْ عَبَدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ. وَلَوْلَا مَا شَرَعَهُ اللَّهُ مِنْ دَفْعٍ

الظلم بالجهاد لانتشار الفساد بهدم أماكن العبادة، من معابد الرهبان، وكنائس اليهود والنصارى، ومساجد المسلمين التي يُصلّون فيها، ويذكرون الله فيها كثيراً. وقسماً لَيَنْصُرَنَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُ دِينَهُ وَرَسُولَهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَلَى مَا يَرِيدُ، عَزِيزٌ فِي مَلَكُوتِهِ، لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى مَغَابِلَتِهِ.

**٤١** - الذين وَعَدْنَاهم بالنصر، إن جعلنا لهم سلطاناً في الأرض عبدوا الله، وحافظوا على إقامة الصلاة وإعطاء الزكاة، ودعوا إلى الخير ونهوا عن الشر. والله تعالى مرجع الأمور.

**٤٢ - ٤٤** - وإن يُكَذِّبُوكَ الْكُفَّارُ - أيها الرسول - فقد سبقهم في تكذيب رسلهم قوم نوح وعاد وثモود وإبراهيم ولوط، وأصحاب مدين الذين كذبوا شعيباً، وكذب فرعون وقومه موسى، فأمْهَلْتُ الكافرين، وأخْرَجْتُ عنهم العذاب، ثم أهلكتهم، فكيف كانت آثار إنكاري عليهم؟

### الفوائد والاستنباطات:

**١** - قال الشيخ الشنقيطي: «بَيْنَ جَلَّ وَعَلَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: أَنَّهُ يُدْفِعُ السُّوءَ عَنْ عِبَادِهِ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ إِيمَانًا حَقًّا، وَيُكَفِّيهِمْ شَرُّ أَهْلِ السُّوءِ، وَقَدْ أَشَارَ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ، كَقُولَهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣] الآية، وقوله: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافِي عَبْدًا﴾ [الزمر: ٣٦].»

**٢** - بيان مكانة المؤمن عند الله تعالى في الرعاية والنصر والتأييد.

**٣** - الإذن بالقتال، لرفع الظلم، وحماية الدين والمسلمين.

**٤** - مهمة الأمة إقامة حكم الله تعالى في الأرض على قدر استطاعتها.

**٥** - وجوب احترام أماكن العبادة.

**٦** - وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

**٧** - تسليمة النبي الأمين ﷺ في بيان موقف المكذبين بالأئباء، وإمهالهم فهلاكهم.

**٨** - ينظر: خريطة موقع قوم مدين، كما في الملحق.

﴿فَكَانُوا مِنْ قَرِيبَةٍ أَهْلَكَنَّاهَا وَهُنَّ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشَهَا وَيَئِرُ مُعَطَّلَةٌ وَقَصْرٌ مَشِيدٌ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ إِذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَلُ الْأَبْصَرُ وَلَكِنْ تَعْمَلُ الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّكَ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَافِ سَنَةٌ مِمَّا تَعْدُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانُوا مِنْ قَرِيبَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهُنَّ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخْذَتُهَا وَإِلَىٰ الْمَعْصِيرِ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي أَيْدِينَا مُعَذَّبِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾﴾

### التفسير:

**٤٥** - كثير من البلدان التي عصت ربها، فأصابها بأسنا، فدمّرناها بسبب كفر أهلها، وتكذيب رسليهم، فهي مهدّمة، سادت فيها الوحشة، وأصبحت خالية من البشر، حتى غدت آبارها مطوية لا يستنقى منها، وقصورها شامخة، لكنّها خاوية لا يُتنفع منها.

**٤٦** - أفلم يسافر الكفار ليشاهدوا مصارع الهالكين، فيعتبروا بما حلّ بهم من الدمار، ويسمعوا أخبار النّكال بالكافار؟ فإنّ العمى عمى الأ بصار، ولكنّ العمى المُهْلِك هو عمى البصيرة عن إدراك الحق والاعتبار.

**٤٧** - ويطلب الكفار منك - أيها النبي - أن يُعجل الله لهم بالعذاب استهزاءً، وهو واقع بهم بموعد قدره الله تعالى في الدنيا، أو في الآخرة، أو في كلّيهمما. وإنّ مقدار يوم من أيام الآخرة عند الله كالف سنة مما تُعذّبون من سني الدنيا، فورقة العذاب ليس عنده بعيد.

**٤٨** - وكثير من أهل البلدان الذين ظلموا أمّهلكم، ثم فاجأتهم بالهلاك، وإليه سبحانه مرجعهم؛ لينالوا عقابهم في الآخرة.

**٤٩ - ٥١** - قل أيها الرسول: يا أيها العباد، ما أنا إلا مُنذِر لكم، أُنذركم إنذاراً واضحاً لا التباس فيه، فالمؤمنون العاملون الأعمال الصالحة لهم عند ربّهم مغفرة لذنبهم وجنة نعيم، والذين كذبوا بآياتنا، وبذلوا

جهودهم في إثارة الفتنة ومحاربة القرآن والكيد لأهله. أولئك هم البداء عن رحمة الله الملازمون النار، وهم وقودها.

### **الفوائد والاستنباطات:**

- ١ - الإشارة إلى آثار إهلاك الأمم الظالمة، وذلك للموعظة والعبرة.
- ٢ - الدعوة إلى السير والنظر في ملوكوت الله.
- ٣ - عمى القلب أشد من عمى البصر.
- ٤ - طول زمن أيام الآخرة.
- ٥ - يوم مقداره خمسون ألف سنة يعادل (١٨) مليون يوماً.
- ٦ - تؤكد الآية (٤٧) النظرية النسبية التي اكتشفها (أينشتاين) والتي تقول: إنَّ السرعة المطلقة في الكون هي سرعة الضوء، الضوء سرعته تقريبية، يقطع في الثانية الواحدة (٣٠٠) ألف كيلٍ.

(<http://nabulsi.com/blue/ar/artp.php?art=1451>)

- ٧ - عدل الله تعالى في عباده.
- ٨ - تشنيع الظلم، فهو من أسباب هلاك الأمم.
- ٩ - ينظر: صورة النخل المنقعر والخاوي، كما في الملحق.

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا تَمَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمَّيَّتِهِ فَيُنَسِّخُ  
 اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحَكِّمُ اللَّهُ أَيْتَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٥٢ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي  
 الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرْضٌ وَالْفَاسِيَّةُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شَقَاقٍ  
 بَعِيدٍ ٥٣ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُتْهَا عِلْمًا أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُبْخِتَ لَهُ  
 قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادُ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صَرْطِ مُسْتَقِيمٍ ٥٤ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي  
 مُرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيهِمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيهِمْ عَذَابٌ يَوْمٌ عَقِيمٌ ٥٥ الْمَلَكُ يَوْمَئِذٍ  
 لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ كَمَا لَدُنَّ ٥٦ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ ٥٧ وَالَّذِينَ  
 كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِمَّثٌ ٥٨ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ  
 اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا أَوْ لَيْرَزَقْنَاهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ  
٥٩ لِيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضُونَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ

### التفسير:

**٥٢** - وما أرسلنا من قبلك - أيها الرسول - من رسول ولانبي إذا قرأ ما أمر الله تعالى به، وحرّص على الإصلاح، ألقى الشيطان عند ذلك الوساوس والشبهات في قلوب بعض الناس؛ ليصدّهم عن اتباع ما جاء به الرسول أو النبي، فيُبطل الله تعالى كيد الشيطان، فلا يؤثر في قلوب المؤمنين، فيثبت الله تعالى آياته، ويُرسّخ أحکامها في قلوبهم. والله عالم بالأحوال، حكيم بالأقوال والأفعال.

**٥٣** - ليجعل الله تعالى تلك الوساوس والشبهات فتنة للمنافقين والكافرين؛ ليزدادوا غواية وجناية. وإن هؤلاء الظالمين لأنفسهم في بُعدٍ كبير عن الهداية، وعداوة شديدة للمؤمنين.

**٥٤** - وليرعلم أرباب العلم أن القرآن الحكيم هو الحق الذي نزل من عند الله الكريم، فيُصدقونا به، فتطمئن قلوبهم، وتخشى جوارحهم. وإن الله هو الهادي للمؤمنين إلى دين الإسلام.

**٥٥** - ولا يزال الكفار في شكٍّ من القرآن؛ بسبب ما يلقي الشيطان من

الوساوس حتى قيام الساعة فجأة، أو حتى يأتيهم عذاب يوم شديد الهول لم يُرَ مثله في شدة أهواله، إذ يُسْتَأصل الكبير والصغير.

**٥٦ - الملوك** يوم القيمة والتصرُّف المطلق لله وحده، وهو الذي يحكم بين المؤمنين والكافرين، فالمؤمنون العاملون بما أمر الله في جنات النعيم، والكفار المكذبون بآيات الله هم الُّبَدَاء عن رحمة الله في عذاب مقيم في الجحيم.

**٥٨ -** والذين هاجروا ابتغاء مرضاة الله، ثم قُتِلوا في سبيل الله، أو ماتوا بغير قتال، قسماً لِيَرْزُقَنَّهُم الله الجنة بحسنهَا ونعمتها، وإن الله بكرمه، هو خير مَنْ أَعْطَى، فإنه يرزق بغير حساب. ثم يؤكّد ذلك بقوله: والله ليُدْخِلَنَّهُم مقاماً يرضونه في الجنة. وإن الله لعلِّي بأحوال عباده، لا يعجلهم بالعقوبة.

### الفوائد والاستنباطات:

- ١ - التحذير من وساوس الشيطان وعداوته.
- ٢ - تأثير وساوس الشيطان في الكفار والمنافقين الذين غَمَرَ الشُّكُّ قلوبهم.
- ٣ - الإشارة إلى التغلب على وساوس الشيطان بالدعاء، والاستعانة بالله تعالى.
- ٤ - بيان فضل الهجرة في سبيل الله تعالى.
- ٥ - بيان مصير المؤمنين ومصير الكافرين في الدارين.

٦٠ ذلٰك وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عَوَقَبَ بِهِ ثُمَّ بَغَى عَلَيْهِ لِيَنْصُرَهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذلٰك يٰأَيُّهُمْ أَنَّ اللَّهَ يُولِحُ الْيَلَى فِي النَّهَارِ وَيُولِحُ النَّهَارَ فِي الْيَلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذلٰك يٰأَيُّهُمْ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَكْدُعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتَصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ حَيْرٌ ﴿٦٣﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلَكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقْعُدَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمْتَكِّمُ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾

### التفسير:

**٦٠** - ذلك هو الوعد الكريم، ومن جازى الجاني بمثل جنايته ثم اعتدى عليه، قسماً لينصرنه الله تعالى. إنَّ الله عَفُوٌ عن ذنوب عباده التائبين، غفور لهم لا يعاقبهم عليها. ذلك النصر الذي وعد به سبحانه لأنَّه قادر على ذلك، بل هو قادر على أعظم من ذلك من الآيات الكونية التي لا تفارق البشرية، ومنها قدرته سبحانه على إدخال الليل في النهار، وإدخال النهار في الليل، بأن ينقص من الليل، فيزيد في النهار، وعلى العكس من ذلك. والله سميع للأقوال، بصير بالأحوال.

**٦٢** - ذلك الاتصال بتمام القدرة والعظمة الله تعالى لأنَّه هو الإله الحق، وأنَّ ما يعبد المشركون من دونه هو الباطل، وأنَّ الله العلي على خلقه، الكبير العظيم الذي لا شيء أكبر منه سبحانه.

**٦٣** - ألم تعلم - يا عبد الله - أنَّ الله أنسَلَ من السحاب المطر، فتصبح الأرض ذات بساط أخضر، تُنبت أنواع النبات؟ إنَّ الله لطيف بعباده، خبير بهم، له ما في السموات السبع، وما في الأرضين السبع. وإنَّ الله هو الغني حقاً عن كلِّ شيء، المحمود في كلِّ حال.

**٦٤** - ألم تعلم - أيها الإنسان - أنَّ الله ذَلَّ لكم ما في الأرض من الدواب والنبات، وذَلَّ لكم السفن تجري في البحر بأمر الله تعالى، وهو

الذى يُمسكُ السماء ويحفظُها؛ لكيلا تقع على الأرض إلا إذا شاء سبحانه؟ إنَّ الله ذو رأفة عظيمة ورحمة واسعة بجميع الناس.

**٦٦** - وهو سبحانه الذي أحياكم في إيجادكم من العدم، ثم يحييكم عند انتهاء آجالكم، ثم يحييكم في الآخرة عند البعث. إنَّ الإنسان لجحودٌ لِنَعْمَ الله تعالى.

### الفوائد والاستنباطات:

- ١ - الإشارة إلى إيجاد القوة المماثلة لدى المعتدين لردعهم، والذود عن المسلمين.
- ٢ - مشروعية عقوبة الظالم.
- ٣ - عظمة الله في ملكه وخلقه ونعمه عليهم تبرهن أنَّه هو الذي يجب أن يعبدَ وحده، ويُعظَّم.
- ٤ - تقرير إثبات البعث.
- ٥ - ينظر: صورة ولوح الليل والنهار وتكوينهما، كما في الملحق.

لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَسْكَاهُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَزِّعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَيْ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِنْ جَنَدُوكَ فَقُلِّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مَنْ دُونَ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سَلَطْنًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا ثُلِّي عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيْنَتِ تَعْرِيفٍ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرُ يَكَادُونَ يَسْطُوتُنَّ بِالَّذِينَ يَتَلَوَّنُ عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ كُمْ بِشَرٍ مِنْ ذَلِكُمُ الْأَنْارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَسَّرَ الْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾

### التفسير:

**٦٧ - ٦٩** - لِكُلِّ أُمَّةٍ مِنَ الْأَمْمِ وَضَعْنَا لَهَا شَرِيعَةٍ وَعِبَادَةٍ، هُمْ عَامِلُونَ بِهَا، فَلَا يَصِحُّ أَنْ يَنْازِعَكَ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فِي أَمْرِ الدِّينِ، وَادْعُ إِلَى إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ وَحْدَهُ. إِنَّكَ - أَيُّهَا النَّبِيُّ - لَعَلَى دِينِ قَوِيمٍ مَوْصَلٍ إِلَى جَنَّاتٍ

النعم، وإن خاصمك المشركون بالباطل فقل لهم مُعِرِّضاً عنهم، مُهَدِّداً لهم: الله أعلم بأعمالكم، وهو سبحانه يقضي بينكم وبين المؤمنين يوم القيمة فيما اختلفتم فيه في أمر الدين.

**٧٠ -** ألم تعلم - يا عبد الله - أنَّ الله تعالى يعلم كل ما في السموات السبع والأرضين السبع؟ إنَّ ذلك العِلْم مسطور في اللوح المحفوظ، وهو أمر سهل على الله تعالى.

**٧١ - ٧٢ -** ويعبد المشركون أصناماً من دون الله، لا حُجَّة لهم فيها، ولا برهان من الله تعالى، وما ليس عندهم به علم، وليس لهؤلاء الظالمين لأنفسهم من ناصر ينصرهم. وإذا ثُلِيَتْ عليهم آيات القرآن الواضحة ترى في وجوه الكُفَّار الكراهة، يكادون يبطشون بالمؤمنين الذين يتلون عليهم القرآن من شدة غيظهم. قل لهم أيها الرسول: هل أخبركم خبراً بشَّرًّا من ذلك الأمر العظيم؟ نارُ جهنم وعدها الله للكافرين المكذبين بآياته. وبئس المصير هي النار.

### الفوائد والاستنباطات:

- ١ -** لكل أمة شريعة، وكل الشرائع تلتقي في توحيد العبودية، ومرجعها الله تعالى.
- ٢ -** مشروعية ترك الحوار إذا لم يكن مجدياً.
- ٣ -** الإشارة إلى ضيق نفوس الكفار من تلاوة القرآن الكريم.
- ٤ -** جدال الكفار وم ráoهم لا ينبغي أن يَصْرِف الداعية عن دعوته.
- ٥ -** طريق الحق واضح بين، وإن نازع فيه الجاحدون.

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا  
 ذَبَابًا وَلَوْ أَجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبُوهُ الذَّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنِدُوهُ مِنْهُ ضَعْفُ الظَّالِبِ  
 وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَوِيٌ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنْ  
 الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا  
 خَلْفُهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا  
 رَبَّكُمْ وَافْعُلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ  
 أَجَتَبَكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَةً أَيْكُمْ إِنْرَهِيمَ هُوَ سَمَّنَكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ  
 قَبْلٍ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأَتُوْا  
 الرَّكْوَةَ وَاعْصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَكُمْ فَيَعْمَلُ الْمَوْلَى وَنِعْمَ التَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

### التفسير:

**٧٣** - يضرب الله تعالى مثلاً للعباد، ولبيان قبح عبادة الأوثان، وبيان ضعف عقول من عبدها ، ويأمر الله تعالى بسماع هذا المثل: إنَّ هذه الأوثان التي تعبدونها من دون الله لن تقدر على خلق ذبابة على ضعفها وصغرها ، وإن اجتمعت المعبودات كلُّها على ذلك. وإن اختطف الذبابُ شيئاً لم يستطعوا استرجاعه، رغم ضعفه وحقارته. ضعف الطالب وهو العابد الذي يطلب الخير من الوثن، وضعف المطلوب، وهو الوثن المعبود، فكلُّ منها حقير وضعيف، فكيف تخذلون هذه الأوثان آلهة؟

**٧٤** - ما عَظَمَ المشركون الله سبحانه حَقَّ عَظَمَتِهِ. إنَّ الله كامل القوَّة، كامل العِزَّة في ملْكُوته .

**٧٥** - الله تعالى يختار من الملائكة رُسُلًا؛ لتبلیغ الوحي إلى أنبيائه ورسله من البشر، ويختار رُسُلًا من البشر لتبلیغ شرائع الدين. إنَّ الله سميع للأقوال، بصیر بالأحوال .

**٧٦** - وهو سبحانه يعلم بكل أحوال رسليه، ما قدّموا وما أخَّروا

من الأفعال والأقوال، وإليه وحده سبحانه تُرَدُّ أمور العباد كُلُّهم، فيجازيهم عليها.

**٧٧** - يأمر الله تعالى المؤمنين بأحكام وتوجيهات كريمة في الآيتين الآيتين: اركعوا الله في صلاتكم، واسجدوا له وحده فيها، واخضعوا له بطاعته، وافعلوا الخيرات التي أمركم بها؛ لكي تفزوا بسعادة الدنيا والآخرة.

**٧٨** - وجاهُدو بأموالكم وأنفسكم لإعلاء كلمة الله حَقَّ الجهاد، باستفراغ الوسع والطاقة في كل الميادين، من دعوة الخلق، وجهاد النفس، والتبعة الجادة، هو سبحانه اختاركم لدينه ونصرة شرعه، ما جعل عليكم فيما شرعه من ضيق وشدة، فالزموا مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ السهلة، هو إبراهيم الذي سَمَّاكم المسلمين من قبل نزول القرآن، وفي هذا القرآن - كما في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمَنْ دُرِّيَتْنَا أَمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ [البقرة: ١٢٨] ليشهد عليكم رسول الله محمد ﷺ بتبلیغه الرسالة لكم، وتشهدوا أنتم على الأمم الأخرى أنَّ رسالهم قد بَلَغُتْهم، فأقيموا الصلاة بأوقاتها، وأعطوا الزكاة للمستحقين، وثُقُوا بالله، وتوكلوا عليه في أموركم، هو ناصركم ومُتَوَلِّي أموركم، فَيُعْمَلُ الناصِرُ، وَيُنْعَمُ النَّصِيرُ للمؤمنين.

### الفوائد والاستنباطات:

**١** - الرُّدُّ على المشركين بأنَّ آلهتهم لا تملك القدرة على خَلْقِ أصغر مخلوقٍ، وهو الذباب، بل إنَّها عاجزة أن تُرُدَّ ما يسلبه الذباب منها، فكلاهما ضعيف.

**٢** - الإشارة إلى التحدى في خَلْقِ حشرة صغيرة.

**٣** - الرُّدُّ على منْ أنكر أن يكون الرسول من البشر.

**٤** - الفلاح بالاستجابة لأوامر الله تعالى.

**٥** - وجوب تعظيم الله تعالى، والاعتزاز بالانتساب إلى الإسلام.

**٦** - وجوب الجهاد بجميع أنواعه؛ لإعلاء كلمة الله تعالى.

**٧** - الإشارة إلى التيسير في الدين، كما قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

**٨** - قال ابن عاشور في الآية (٧٨) : «هذا الإنشاء يتضمن تحقيق حُسْنٍ ولالية الله تعالى، وحُسْنٍ نصره. وبذلك الاعتبار حَسْنَ تفريعه على الأمر بالاعتصام به. وهذا من براعة الختام، كما هو بَيْنُ لذوي الأفهام». (التحرير والتنوير : ٢٥٤ / ١٧).

